مشروع تقسيم فلسطين وأخطاره

لباحث عربي كبير

تتمة ما نشر في العدد الماضي

الأماكن المقدسة

لم تكتف اللجنة الملكية بحرمان العرب من قسم فلسطين الطيب ، مورد حياتهم ، بل سلخت القدس وبيت لحم ومنطقة واسعة توصلهما بالبحر عن البلاد العربية ، ووضعته مع غيره تحت انتداب بريطاني دائم ، بحجة أن المحافظة على هاتين المدينتين « أمانة مقدسة في عنق المدنية » ، كأن العرب لا يعرفون المدنية وكأنهم لا يدركون مقدار ما لهذين المكانين من قداسة

إن العرب هم أكثر الشعوب تقديساً للقدس وبيت لحم ، والانكليز يعرفون ذلك ، غير أنهم اتخذوا مبدأ « المحافظة على قداسة القدس وبيت لحم » وسيلة لسلخهما عن البلاد العربية ، وتسهيلا لتحقيق المآرب اليهودية في هذا الجزء من البلاد المقدسة

مهدت اللجنة الملكية في تقريرها السبيل لليهود على هذا القسم من فلسطين ، فهي توحي بأن تكون لغته الرسمية الانكليزية لتزول مع الزمن منه الثقافة العربية والروح القومية . ومهدت السبيل لأن تكون أكثرية موظفي الحكومة في هذه المنطقة من اليهود . إذ هي تقول (صفحة ١٣٨) بأنه لو لم يكن هناك الانتداب الحالي على فلسطين ، لاعتبرت الحكومة اليهود والعرب جماعة واحدة ، ولا نتخبت من بينهم الموظفين حسب كفايتهم لا حسب جنسيتهم ، كما هي الحال الآن ، ولكان أكثرية هؤلاء الموظفين من اليهود لأنهم أكثر كفاية وأكثر مقدرة . وتقول اللجنة بعد ذلك بأن الانتداب الجديد (صفحة ٣٨٢) لن يجعل ثمة مجال للبحث في حفظ التوازن بين ادعاءات العرب إزاء اليهود أو بالعكس ، لأن الحكومة ستنظر إلى جميع السكان نظرة واحدة . ومعنى هذا أنها سوف لا تراعي النسبة بين الموظفين ، بل ستأخذ الأقدر والأفيد لها . والموظفون اليهود أقدر بكثير من الموظفين العرب في نظر لجنة اللورد بيل

ومتى أصبحت اللغة الرسمية الانكليزية ، ومتى أصبح الموظفون من الانكليز واليهود ، صعب جداً على العرب العيش في هذه المنطقة من بلادهم واضطروا إلى النزوح عنها ، فتصبح الأكثرية الساحقة فيها من اليهود . وحتى لو فرضنا أن عرب هذه المنطقة سيظلون فيها ، فان اليهود سيئسلون إليها وسيصبحون فيها أكثرية . وعندها يطلبون إجراء استفتاء سائلين سكان هذه المنطقة فيما إذا كانوا يريدون الانضمام إلى « المملكة اليهودية » أو إلى « المملكة العربية » . وتكون النتيجة الانضمام إلى « المملكة اليهودية » ، ووضع اليهود أيديهم على الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ، وإقامة هيكل سليمان مكان الصخرة الشريفة . . . وستجد الحكومة البريطانية عذرا لذلك تبرر به عملها قائلة بأنها تحب العدل ولا ترغب في حكم جماعة رغم مشيئتهم ! . . .

ثم إن القدس مدينة كبيرة ، يعيش أهلها على الوظائف والموظفين العديدين الذين فيها ، وعلى التجارة مع القرى . فمشروع التقسيم يحرم أهل القدس من الوظائف ويقلل عدد موظفي المدينة ، ويقطع القرى التي تتعامل مع القدس عنها . وسيحل حينئذ أزمة اقتصادية شديدة يقاسي سكان المدينة العرب آلامها . . .

* * *

تقول اللجنة الملكية إنه « يجب أن يلقى على عاتق الدولة المنتدبة أيضا عبء المحافظة على الأوقاف الدينية وعلى الأبنية والمقامات والأماكن الواقعة في أراضي كل من الدولتين العربية واليهودية والمقدسة لدى العرب واليهود » . وهي في هذا القول تريد إيهام الرأي العام بأن في المملكة العربية مقدسات يهودية ! والحقيقة أن ليس لهم في القسم المنوي إبقاؤه عربياً شيء من هذا القبيل . أما العرب فلهم في مشروع « المملكة اليهودية » جوامع وكنائس وأوقاف دينية وأبنية ومقامات وأماكن مقدسة عديدة ، تتعهد الحكومة البريطانية بالمحافظة عليها ! لقد رأينا قيمة تعهدات الحكومة البريطانية ومدى ما يمكن الاعتماد عليها . . .

ثم ما الفائدة للعرب من بقاء جوامع وكنائس ومقامات مقدسة في قسم من بلادهم يرغمون على الرحيل عنه ؟ إن العرب يقدسون الجوامع والكنائس مادام فيها مصلون ، أما إن قدر للشعب العربي أن يرحل عن وطنه (وهذا لن يكون) فخير له أن تنسف الجوامع والكنائس ، وأن تمحى آثاره المقدسة ، من أن تبقى أثراً يذكر الأجيال بأنه كان في هذه البلاد شعب عربي لم يعرف كيف يحتفظ بها . . .

دولة يهودية

إن لمشروع تقسيم فلسطين فائدة واحدة ، ذكرها اللورد بيل فى تقريره ، وهى تحقيق أحلام اليهود من تأسيس مملكة لهم فى الأرض المقدسة .

لقد منح تصريح بلفور اليهود وطنا قومياً فى فلسطين ، يعطيهم الحق فى القدوم إلى الأراضى المقدسة وسكناها دون أن يغير ذلك كيان العرب وحقوقهم . غير أن هذا التصريح لم يحقق آمال اليهود ؛ على أنهم قبلوه ليكون وسيلة لتحقيق تلك الآمال . وجاء اللورد بيل وأوصى بالغاء الانتداب القائم على تصريح بلفور ، وإعطاء اليهود مملكة فى أطيب قسم من فلسطين ، مستقلة تمام الاستقلال ، ولها ما لأكبر الدول من سيادة ومكانة . ومثل هذه الدولة لاتحقق آمال اليهود كلها ، بل هى إلى إحياء الصهيونية ، بعد أن كادت تفشل ، ووسيلة لإيصال اليهود إلى غايتهم الرئيسية ، وهى : إنشاء دولة يهودية ممتدة من النيل حتى الفرات ، واستمار الشرق الأدنى ، لاسيما الشرق العربى ، استعماراً اقتصادياً .

إن تأسيس مملكة يهودية فى فلسطين أو فى قسم منها ، مهما كانت رقعته ، خطر عظيم على الشرق العربى أجمع . لأن منح اليهود مملكة معناه تقوية نفوذهم فى جميع أنحاء العالم ، وسيطرتهم على الدوائر السياسية الدولية ، سيطرة تجعل لدولتهم ، مهما كانت صغيرة ، أهمية دولية لا تقل عن أهمية كبار دول العالم . ويتلو ذلك تزلف الدول لهذه الدولة القوية ، فتأخذ فى عقد محالفات معها ، تضمن للدولة اليهودية حرية العمل فى الشرق الأدنى لاسيما فى بلاد العرب منه .

وفى أثناء ذلك تكون « الحكومة اليهودية » آخذة فى حشد اليهود فى « القسم اليهودى » من فلسطين . وقد صرح رجالاتهم من الآن ، بأنه سيبلغ عدد اليهود فى هذا القسم عما قريب خمسة ملايين ، جلهم من الشبان والشابات الصالحين للعمل . لهذا ستكون قوة التجنيد عندهم معادلة ، ان لم تكن أقوى ، لقوة تجنيد بلاد عادية يبلغ سكانها خمسة عشر مليوناً . وستدرب الحكومة اليهودية هذا العدد الكبير من الرجال والشبان والنساء على الأعمال الحربية . وسيكون لديها جيش قوى مجهز بأحدث عدد الحرب . وزيادة على الجيش المحلى فإن للدولة اليهودية جيوشاً احتياطية منتشرة فى جميع أنحاء العالم . لأن كل يهودى خارج فلسطين سيعتبر نفسه جنديا فى جيش « الدولة اليهودية » وسيلبى النداء مهما كان بعده عن الأراضى المقدسة . وليس فى العالم قوة تحول بين ملايين اليهود وبين الانضمام إلى جيشهم فى فلسطين . . . وإن حوادث اسبانيا الحالية خير برهان على ذلك .

وقسم المملكة اليهودية من فلسطين لا يتسع بصورة طبيعية لأكثر من مليون . فمتى وجد فيه ثلاثة ملايين إن لم نقل خمسة أو أكثر ، اضطروا بحكم الطبيعة إلى التوسع ، ولا توسع لهم إلا فى البلاد العربية . أما استيلاؤهم على بقية فلسطين وشرق الأردن فسهل متى كان لهم مملكة ، لعوامل اقتصادية عرضناها فيما تقدم . ومتى استولوا على « المملكة العربية » النوى خلقها زاد عددهم فى فلسطين ، حينئذ يوجهون وجههم شطر سوريا ولبنان . وعندذلك ، مهما كانت شجاعة العرب ، ومهما كان صبرهم على القتال ، لايكون فى مقدور جيش القطر السورى الشقيق ، حتى وإن عاضده بقية البلاد العربية ، الوقوف أمام جيش « المملكة اليهودية » العديد والمجهز أحسن تجهيز حربى حديث . . . ومتى زال استقلال سوريا ، هدد العراق ، ومصيره أن يجزأ بين الطامعين فيه ، يدخل قسم منه فى المملكة اليهودية . أما مصر فستجابه خصما عنيداً يكون عونا لأعدائها عليها . . .

ولنفرض أن لا خوف على استقلال سوريا والعراق ومصر السياسى من « الدولة اليهودية » ، فإن هذه البلاد سوف لا تنجو ولن تنجو من استعمار اليهود الاقتصادى لها . فوجود دولة يهودية فى فلسطين أو فى قسم منها معناه زوال كل ما لمصر من أمل فى زعامة البلاد العربية ثقافياً واقتصادياً ، إذ ستكون الدولة اليهودية حائلا بينها وبين هذه البلاد ، وسوف لا تنجو هى من استعمار اليهود الاقتصادى . ومعناه أيضاً زوال كل ما للعراق من أمل فى تقوية الرابطة بين البلاد العربية ، وتوحيدها ، ومن وصوله إلى البحر الأبيض المتوسط . أما سوريا ، بما فيها لبنان ، فان لم يزل استقلالها زوالا نهائياً ، فستكون تحت نفوذ الدولة اليهودية سياسياً واقتصادياً . . .

إن وجود « مملكة يهودية » فى فلسطين أو فى قسم منها ، ضربة قاضية لآمال العرب (بما فيهم مصر) ، وسبب لفقدان السلام والهدوء من الشرق العربى . لهذا يجب على كل عربى أن لا يرضى أبدا بتقسيم فلسطين ، ولا يمكن الحكومة منه . ويجب على جميع البلاد العربية أن تتساند وتحول دون تأسيس مملكة يهودية فى قسم من فلسطين ، فتحول بذلك دون وقوع الأخطار العديدة التى ذكرنا بعضها .

اقتصادى